

نبذة عن حياة وآراء الاستاذ محمد تقى الجعفرى

ولد الاستاذ محمد تقى الجعفرى سنة ١٣٤٣ هـ ق فى مدينة تبريز فى بيئة عائلية متعاطفة مع المعطيات الدينية يديرها والد اشتهر بصدقه ووالدة انحدرت من ذرية الرسول(ص) عرفا بالنزاهة والسلوك الدينى والنسك الاعتقادية حيث السمعة الطيبة فى وسط عائلى ترعرع فيه الاستاذ ونوّه عنه بهذه التعابير:

كان والدى أمدى لا يجيد القراءة والكتابة ولكن كان له ذاكرة غير عادية حيث اعادته أقوال وعاظ المدينة بحذافيرها. مضت علينا حقبة من الزمن كى نستدر كى مكانته العظيمة حيث امتلاكه للجوانب الروحانية الفذة رغم رقة فواده. لم يكن أبى يتدننى من العمل الذى تبلور فى مهنة الخبازة دون التوضأ. أتذكر اننى صاحبت والدى مرة للحضور عند «الشيخ ميرزا هادى الحائرى» الذى كان من معاصرى «المرحوم عصّار» حيث نسبّ الشيخ قائلاً: ان الدرب الذى سلكناه نحن بشق الانفس خلال فترة سبعين عاماً يدبّ فى شرايين والصدك اذ تخامر أمر هذا السلوك بدمه.» كان أبى يذكرنا بأنه يعتبر العمل جوهر حياته اذ اعتبارة البطالة معادلة للموت والفاء. على العكس منه لن تكن والدتى أمية ولكن سرعان ما فقدناها فى ريعان شبابها اذ أقل نجم حياتها فى مستهل ثلاثيناتها سنة ١٣٦٣ هـ. ق. وقد ساعدنى الحظ أن أمارس وأجيد قراءة المصحف الكريم بتعليمها اياى. أتذكر حيناً كنا متوجهين فيه لزيارة مشهد الرضا(ع) حيث كانت ترتل المصحف الشريف طيلة السفر وكلما كنا نقف لاداء الصلاة أو الاستراحة كانت تجمع شمل أطفالها لتعليمها اياهم سورة من القرآن الكريم.

بادر محمد تقى بداية أمره بالانضمام الى المدارس الحديثة التى شيد أمرها فى مدينة «تبريز» ليشق دربه الى ذروة الفكر وبعد استكماله مراحل التعليم الابتدائية انضم الى الحوزات العلمية فى كل من طهران وقم. حيث اقتطفه معالم الحكمة بحضور أساتذة عظام مثل الشيخ محمد رضا التنكابنى والعارف العلامة محمد تقى التبريزى. لكن سرعان ما أرغم الاستاذ من الرجوع الى مدينة «تبريز» اثر ارتحال والدته بادر فيها ممارسة اجتناء ثمار العلم من مدرسة آيت الله الشهيدى وسرعان ما توجه العلامة الى النجف الاشرف بتوجيه وتأكيد أستاذه للانضمام الى حوزتها العلمية الفريدة حيث لعب الفقيد الشهيدى دوراً هاماً فى تشييد الهيكل العلمى والفكرى للعلامة الجعفرى حين أرغمه من الذهاب الى النجف الاشرف سنة ١٣٦٣ القمى.

ان الفترة التى قضاها الاستاذ فى النجف الاشرف وجامعتها الدينية لسنوات دامت احدى عشر عاماً واقتطف ثمار فكر كبار مثل آيات الله السيد أبوالقاسم الخوى والسيد محسن الحكيم والشيخ كاظم الشيرازى والسيد

عبدالهادي الشيرازي والسيد جمال الكلبيكاني والشيخ مرتضى الطالقاني وعدد غفير من رواد الفكر الفقهي، تركت بصماتها على تكوين الجانب العلمي والعملي للاستاذ الجعفري بحيث تمكن هذا من نيل درجة الاجتهاد في عنفوان شبابه سنة ١٣٦٦ هجرية قمرية على أساس منحة اجتهاد الشيخ كاظم الشيرازي اذ بدأ الاستاذ بتعليم الآخرين في حوزة النجف الاشرف منذ ذاك الزمن.

ان مداولتي بتعليم الفلسفة بمدرسة الصدر في النجف الاشرف بايعاز من المرحوم آيت الله السيد عبدالهادي الشيرازي حيث محاضرات العلامان الطباطبائي والمطهرى في ايران، قبل هذه الفترة بقليل، أدت الى اقبال طلاب مدارس أخرى للمشاركة في هذه الحلقة وكان السيد محمداقرا الصدر من ضمنهم. عانى الاستاذ شظف العيش خلال هذه الفترة حيث لم يكن له مورداً سوى الراتب الذي كان يمنحه آيه الله السيد أبو الحسن الاصفهاني «قدس سره» لذلك أرغم على مداولة مهام لتغطية نفقات حيات بسيطة.

ان مسامرة الاستاذ للافكار التي تبناها الفقيه والفيلسوف والمنطقي المجدد المرحوم الشيخ محمدرضا المظفر وكذلك ما شيده أحمد أمين أستاذ الرياضيات بجامعة بغداد واضع الاثر الخالد أي «التكامل في الاسلام»، والتي استمرت لسنوات عديدة، دلت على تكوين نظرة جامعته حول مقدرته واستطاعته على مداولة استطلاع واستجلاب ما هو جديد في ميادين «الفقه والفيزياء» و«الفلسفة وعلم الجمال» و«التاريخ وعلم النفس» وكذلك استدراك معطيات العلوم وما حصل للعالم الغربي في الآفاق المذكورة دون أية وقفة أو تباطؤ للتعرف على أسس الحضارة الغربية والادب المنبعث من عصر النهضة الاوربية في أبعادها المختلفة وضروبها المتنوعة بخطوات علمية.

من الممكن ملاحظة هذا الواقع الفذ من خلال أول كتاب نشره الاستاذ حين بلغ من العمر ما يقارب الثلاثينات بعنوان «رابطة الانسان والعالم». وقد دل الاثر الذي كان يتناول مباحث الفلسفة والفيزياء، على انهماك مؤلفه في ميادين العلم وحدوده الحقيقي وممارسته أسس معطياتهما طيلة فترة دامت سنوات واستمرت حتى نهاية مطاف حياة الاستاذ. وكانت المبادرة المألوفة تتبنى أولاً معرفة الواقع واستدراك أسسه بصورة صحيحة وثانياً عرض نظرة تحليلية بهذا الصدد. وقد دلت آنذاك آراء الاستاذ حول التيارات الفكرية على انطباق نظراته التي كانت تنبع من رؤى أساتذته مع الخلفية التي رسمتها الحضارة الاسلامية على أرضية شيدتها نظرة شاب منهمك في معالم الدين الحنيف.

ثم كانت سنة ١٣٧٤ هـ . ق. حيث قفل الاستاذ راجعاً الى ايران كي يتابع التيارات الفكرية المعاصرة حيث

تعاطفه مع الثقافة الحقيقية التي وضعت أسس استقراءاته وبحوثه وكونت الركائز الاساس لمداولاته النظرية طيلة فترة دامت ستة عقود. ويبدى الاستاذ رأيه حول الثقافة بهذه العبارات:

يمكن اطلاق تعبير المثقف على من يساير بصورة منطقية حقائقاً تجرى في جدول الزمان باستدراك العلل والنتاج وهكذا الثوابت والمتغيرات لتشييد حياة آمنة منطقية متنبأً رسالته الانسانية على أسس معطيات التضحية والفداء.

ومما يجلب انتباهنا هو اعطاء الاستاذ أهمية قصوى لتأصيل «الفكر» واستتباب «البحث» و«التساؤل» اذ لن تتمكن بادرة أخرى أن تحل محلها في نظره على حدّ تعبير كل من كان يواصله فكراً ويتابع انهماكاته في ميادين البحث عن الحقيقة. ولو أردنا أن نصف مكونات شخصية الاستاذ للزمن أن نعطي الصدارة لهاتين البادرتين حيث حياته المليئة بالبحث والتساؤل خائضاً بهما ميادين العلوم.

كان الاستاذ يتعاطف بالحكمة مع كل من يبطأ عالم التساؤل مجاناً التزمّت حيث اعتقاده والتزامه بأساس مجانية الاذى في التعامل مع كل متساؤل وفقاً لسيرته المشيّد على ركيزة البحث والتنقيب وكذلك منحة المكانة المرموقة لوجود «الانسان» بحذافيه التي كانت تنشأ من عنايته الخاصة بمكانة أشرف الخلق حيث محاولته للتعرف عليه من منظور متفكر فذ. وعلى هذا الاساس تمكن الاستاذ أن يضع مؤلفاته العديدة أشهرها موسوعة «النقد التحليلي لشعر جلال الدين الرومي» وعدد مجلداتها خمسة عشر وكذلك «تفسير نهج البلاغة» في ٢٧ مجلداً. ويحتوى الاثرين على زبدة المكتسبات الفكرية التي شيّدت رؤى الاستاذ خلال أربعة عقود في مجالات شتى كمعرفة الانسان، وعلم النفس، والاحاطة بالكون، وعلم الاجتماع، والحكمة، والفلسفة، والعرفان، وعلم الاخلاق حيث قوله: «لن أقتنع قط بما اكتسبته في مجال العلم».

ولن يجانب الاستاذ أهدافه الفذة طيلة مراحل حياته اذ لم يكن مرعوباً بالتيارات العابرة حيث ارتكازه على أسس «المسؤولية» و«التكليف» اذ لن يرضخ للتغيير في هذا المجال ناهيك عن المامه بمعطيات العلم والفكر بديمومة من البحث والتنقيب للموائمة بين العصرية ورؤاه المتبينة في مجالات الادب والفلسفة وعلم الجمال والفن ومعرفة الانسان والحياة آخذاً بأساليب «التطبيق» و«العصرية» و«مسايرة الزمن». فالشطر الكبير والاساس في تشييد الجوانب العلمية للاستاذ كان يرسخ فيما أطلق عليه «الثقافة الانسانية المشتركة» حيث أشاد اليها بأن:

الثقافات الانسانية تتجذر في معالم مشتركة تربطها أواصر الخلود بحيث لن تتأثر بالبيئة والعوامل الجغرافية المحيطة بها.

تكشف المنظومة الفكرية للاستاذ عن كفاح رجل خصص حياته لمعالم الدين والعلم فكان نتاج ذلك حلّ عقّد المجهولات ورفع الستار عما يشوب جمال الحياة في عصر الصناعة ومابعده بغية منح الانسان الجانب المنطقي لمداولة حياة آمنة حيث اعتقاده بأن:

يجب أن تتعاطف حياتنا مع أطر الخلق والابداع وان خرجت الحياة عن هذا النمط المألوف فسوف تصبح عبئاً على كاهل الانسان.

وهناك نماذج أخرى من نظرات الاستاذ تكشف عن واقع الجوانب العلمية والعملية للحياة وتحدد مبادئها:

- أوهل تشيد هذه المعطيات حقيقة الحياة؟ لقد عمدت الافكار الانسانية منذ أقدم عصور التاريخ البشرى الى هذا السؤال في جبهتين مضادتين تتصف احدهما بالاجابية والاخرى بالسلبية.
- ان ظاهرة الحياة تكن عبارة عن حقيقة مبدعة تسيطر ارادة الانسان عليها حيث تحكّمه فيها.
- يعتبر انهاء الحياة والاطاحة بها تحدى المشيئة الالهية اذ يبرز هذا التحدى على ضربين امّا الانتحار أو التزمت والتآكل.
- وضع الحياة في اطار الحسن و«التمحور» حول هذا الاحساس سيعادل الموت والفناء.

مقتطفات من تفسير الاستاذ لنهج البلاغه

ان الصرح المشاد على أساس كلام النهج يكشف عن الجوانب الانسانية التي تبناها انسان سائر درب العلى ولذلك من الطبيعي أن لا نعتبر قوله أشطان الشعر أو حمالات الاساطير حيث الواقع الذى يتبناه كلام على(ع) وله نصيب من الحق يماثل ارتباط الخلق بخالقه كى يشق دربه لنيل العلى. لاشك ان الاجتماع الذى يتجاهل أمير المؤمنين بكلامه وسلوكه وأفكاره المشاد فى صرح الحق ولن يتعاطف معه لاستكمال وجوده سوف يلقى نتاج ما تبناه. لقد وضعت أسس وركائز الفكر والسلوك عند على(ع) بالاشادة الى رابطة الانسان بنفسه وبخالقه وبالكون وبأخيه الانسان.

وأخيراً ارتحل الاستاذ الى دار الخلد بعد كفاح دام طيلة حياة مثمرة استمرت حتى عام ١٤١٩ هـ ق ودفن بدار الزهد بجوار الامام الرضا(ع) فى مشهد الرضا تعمده البارى برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه. ونحن اذ نهى هذه الوجيزة نؤمى الى قول البروفسور «ولقاريس» أستاذ الالهيات بجامعة «أتينا»:

حين نواكب الاستاذ الجعفرى نتحسس أننا بحضور انسان تمكن من انتقاء سلوك الهى لحياة كانت ترجى التقرب من الله مستلهمةً من البارى سبل الوجود.»